الإلـهيات في فلسفة أبي مدين المغربي

م.م. رغد سليم داود

جامعة بغداد

المقدمة:

ان من المهم ان نتفحص تراثنا بطريقة علمية تجعلنا نستلهم منه كل ما يدعو الى نهضتنا ونتطورنا، لاسيما ان في هذا التراث من الكنوزالمخفية التي لم ترالنور لحد الان، وشخصيات لم تدرس كما ينبغي . ومن جملة هذه الشخصيات هو الشيخ الكبير ابو مدين المغربي ذلك الشيخ الذي اسس طريقته على التوحيد والتقوى فكان قدوة السالكين على حد قول ابن عربي، وان من المهم ايضا ان ننقي تراثنا مما الصق به من شوائب الافكار التي نسبت له، فقد سعى المستشرقون الى الصاق نظريات في التصوف الاسلامي وهو منها براء كنظرية وحدة الوجود وهي نظرية هندية تقرب من نظرية وحدة الشهود في التصوف الاسلامي ولكن الفرق بينهما كبير من حيث المضمون فالاولى نظرية توجب ان يكون الوجود واحدا وداخلا في شيء واحد،اما النظرية الاسلامية فهي ان العارف يصل الى حال من القرب ما يجعله يرى ان الوجود الحقيقي هو وجود واجب الوجود،واما بقية الموجودات فهي اعراض لا تقوم بذاتها بل لا تقوم الا بواجب الوجود.وهذا هو عين التوحيدالذي يسعى لاثباته ائمة التصوف الاسلامي ومن بينهم الشيخ ابو مدين المغربي.ونظرا لاهمية هذه المسألة ولتبرئة التصوف الاسلامي مما ينسب اليه كان هذا السبب في اختيار هذه الشخصية عنوانا لبحثي.الذي اردت ان ابين فيه مفهوم الصوفية للوجود الالهي فكان عنوان بحثي:(الالهيات في فلسفة ابو مدين المغربي)، وليس لابي مدين مؤلفات خاصة نعتمدها سوى قصائد مخطوطة وجملة ما تحدثنا به كان نقلاً عن محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار لأبن عربي وهو احد تلامذة ابي مدين ، نفهم من ذلك ان ابا مدين كان مهتماً بانشاء رجال لهم دورهم الفاعل في مجتمعهم اكثر من ان يكون مهتماً بتسطير الكتب والمؤلفات مما ادى بالفقهاء ان يشوا به عند يعقوب المنصور، سلطان الموحدين فقالوا له :"انا نخاف منه على دولتكم ، فان له شبهاً بالامام المهدي . واتباعه كثيرون بكل بلد"ونعود الى البحث فقد تضمن المبحث الاول :حياة الشيخ ومكانته،ثم المبحث الثاني: الذي تضمن الوجود في فلسفة ابو مدين، و الصفات الالهية واخصها صفة العلم الالهي في فلسفة ابي مدين.

ثم ختمت البحث بخاتمة تضمنت اهم النتائج التي توصلت لها في هذا البحث،وكذلك التوصيات التي رأيت ان من المناسب ان اوصي بها زملائي الباحثين بها والله من وراء القصد.والحمد لله رب العالمين.

حياة الشيخ ابومدين ومكانته.

اسمه ولقبه:
ذكرالبوني وابن عربي ان ابا مدين هو شعيب بن الحسن([1]) في حين ذهب ابن قنفذ، وابن الخطيب، والغيريني، الى انه شعيب بنى الحسين([2])ونحن نرجح الراي الاول لانهما معاصرين للشيخ ابو مدين

ولد الشيخ أبو مدين عام (٥١٧هـ – ١١٢٠م) وتوفي عام (٥٩٤هـ – ١١٩٧م)[3] وهو من شيوخ ابن عربي فأن الأخير يذكره دائماً في مؤلفاته بهذه الصفة وأبو مدين (سيد العارفين وقدوة السالكين .... كان رحمه الله من أفراد الرجال وصدراً من صدور الأولياء والابدال جمع الله له بين الشريعة والحقيقة .... وقد كان أبو مدين زاهداً فاضلاً عارفاً بالله تعالى خاض بحار الأحوال ونال أسرار المعارف خصوصاً مقام التوكل ، لايشق غباره ولا تجهل آثاره ..... وكان من أعلام العلماء وحفاظ الحديث خصوصاً جامع الترمذي ، كان قائماً عليه ورواه عن شيوخه ، عن أبي ذر ، وكان يلازم كتاب الأحياء ويعكف عليه وترد عليه الفتاوي في مذهب مالك فيجيب عنها في الوقت)[4]
اما مكان ولادته فكان في بلدة تسمى (حصن قطنيانة)[5] او (حصين سنتوجب)[6] احدى قرى اشبيلية بالاندلس.رحل الى فاس بالمغرب في حدود عام ٥٤٩ه،حيث طلب العلم الشرعي،الفقه والحديث والعقيدة والتصوف على يد اشياخ فاس .[7]

والشيخ أبو مدين كما يصفه صاحب قلائد الجواهر (كان من أعيان مشايخ المغرب وصدور المقربين وعظماء العارفين وأئمة المحققين صاحب الكرامات الخارقة والأفعال

---

[1] –ينظر البوني:احمد بن علي ،شمس المعارف الكبرى ،مطبعة عبد السلام شقرون،القاهرة،(د،ت)،ج٤،ص٥٣٠. ابن عربي:محيي الدين ،محاظرة الابراروسامرة الاخيار ،القاهرة،١٣٠٥هـ،ج١،ص١٣٣.

[2] –ينظر ابن منقذ، انس الفقير وعز الحقير،نسخة خطية بدار الكتب المصرية ، بالقاهرة،رقم ٣٠٣مجاميع،ورقة ٢ .ولسان الدين بن الخطيب،روضة التعريف بالحب الشريف،الدار البيضاء،١٩٧٠،ج٤،ص٢٦٩ .والغيريني،ابو العباس احمد،عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،بيروت،١٩٦٩،ص٢٢.

[3] د. عبد الرحمن بدوي ، أبو مدين وأبن عربي ، بحث ضمن الكتاب التذكاري لمحي الدين ابن عربي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٩ – ١٩٦٩ ، ص١١٩ .

[4] ابن مريم (ابو عبد الله محمد بن محمد) ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتملسان ، طبعة الجزائر ، ١٩٠٨ ، ص١٠٩ . كذلك مضان ترجمته عند البوني (احمد بن علي) شمس المعارف الكبرى ، مطبعة عبد السلام شقرون ، القاهرة ، ج٤ ، ص٥٣١ . وايضاً لسان الدين بن الخطيب ، روضة التعريف بالحب الشريف ، الدار البيضاء ، ١٩٧٠ ، ج٢، ص٦٢ .

[5] – السلاوي:احمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، القاهرة (د،ت) ،ج١، ص١٨٨.

[6] – الغربيني،عنوان الدراية ،ص٢٢.

[7] السلاوي، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى،ج١،ص١٨٩.

الظاهرة والمقامات والهمم السامية صاحب الفتح السني والكشف الجلي له التصدير في مراتب القرب والتقديم في منازل القدس وله القدم الراسخ في التمكين والباع الطويل في التصريف واليد البيضاء في أحكام الولاية والقوة الشديدة في أحوال النهاية)[٨] .

ويحدثنا الدكتور هويدي عن رحيله إلى الشرق فيقول : (ورحل أبو مدين إلى الشرق وتعرف في عرفه بالشيخ عبد القادر الجيلاني)[٩] وكان ذلك بين ٥٥٥٠-٥٦١٠ه.اما رحلته الاخيرة بعد رجوعه الى اشبيلية الى شريش ومنها الى الجزيرة الخضراء وعبرت البحر الى طنجة ومنها الى سبته ثم الى مراكش وبعدها الى الاندلس واستقر به الحال في بجاية حيث بدأ بنشر تعاليمه التي كانت تخالف مذاهب فقهاء الموحدين فاقلقهم شانه فكتب السلطان الى والي بجاية يطلب منه استدعاء الشيخ وفي ثناء سيره في الطريق مرض مرض الموت وتابع حتى وصل الى مكان يسمى وادي يسرفارتحلوا به الى حوزة تلمسان[١٠] فبدت(رابطة العباد)فقال ابو مدين (ماصلحه للرقاد)[١١] وتوفي ابو مدين فحمل الى العباد مدفن الاولياء الاوتاد.[١٢]وكان ذلك عام ٥٨٩ه[١٣] .بالقرب من تلمسان وزاويته ومدرسته بناها السلاطين المرينيون اصحاب تلمسان في القرن الرابع عشر الميلادي قريبة من قبره.[١٤]رحمه الله كان له أبيات يقول فيها :

يا من علا فراى ما في الغيوب وما تحت الثرى وظلام الليل منسدل
أنت الغياث لمن ضاقت مذاهبه أنت الدليل لمن حارت به الحيل
إنا قصدناك والآمال واثقة والكل يدعوك ملهوف ومبتهل
فأن عفوت فذو فضل وذو كرم وان سطوت فأنت الحاكم العدل) [١٥]

وكان مهتماً بانشاء رجال لهم دورهم الفاعل في مجتمعهم اكثر من ان يكون مهتماً بتسطير الكتب والمؤلفات مما ادى بالفقهاء ان يشوا به عند يعقوب المنصور، سلطان الموحدين فقالوا له:(انا نخاف منه على دولتكم ، فان له شبهاً بالامام المهدي . واتباعه كثيرون بكل بلد)[١٦] والذي نقله ابن عربي عن ابي مدين لا يخلو من محاولة ابراز مذهب ابي مدين بأنه من القائلين بالوحدة الوجودية ، أي القول بأن الوجود واحد ، ولا موجود على الحقيقة الا الله ، فهذا التوحيد هو توحيد العارفين ، (وتوحيد العارفين محض التحقيق)[١٧]. أي المعرفة على وجه الحقيقة (وكل صوفي يضل مسافراً إلى جمال الحضرة العلية ، ولا يستقر به المقام إلا في التوحيد ، إذ التوحيد كما قلنا غاية المقامات ونهاية الاحوال . والصوفي لا يشعر بالوصول إلا

---

[٨] محمود بن يحيى التادفي ، قلائد الجواهر ، ص١٠٨ .

[٩] د. يحيى هويدي ، تاريخ فلسفة الإسلام ، ص٣٥١ .

[١٠] وهي من احسن مدائن المغرب،ماء وهواء،وهي وسط بين الصحراء والتل،وتوصف بانها خزانة زرع،ينظر التلمساني :احمدبن المقري،،نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب،القاهرة،١٣٠٢هـ،ج٤،ص٢٦٧-٢٦٨.

[١١] -ابن مريم التلمساني،البستان في ذكر الاولياء بتلمسان،ج٢،ص١١٣.

[١٢] -المصدر نفسه،ج٢،ص١١٤.

[١٣] -ينظر ابن عربي الفتوحات المكية،القاهرة،١٢٨٣هـ،ج٤،ص٢٤٨.كذلك حاجي خليفة ،كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون،تركيا،١٣١٠هـ،ج١،ص٩٦.

[١٤] -ينظر ابن قنفذ،انس الفقير،ورقة٨٠.

[١٥] محمد بن يحيى التادفي ، قلائد الجواهر ، ص١٠٨ .

[١٦] المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٢٧٢ .

[١٧] ابن عربي ، محاضرة الابرار ، مسامرة الاخبار ، ج٢ ، ص١٥ .

اذا فنى عن الاحساس فادراك انه في "حضرة الاينـاس")[١٨] . وهناك اشارات في بعض الكتب تؤيد الفكرة التي طرحها ابن عربي في توحيد ابي مدين كما ينقل ابن قنفد قول ابي مدين (بيّ قُلْ وعليّ دلْ فأنا الكلْ٠٠٠)[١٩] . وقد قام "ابن ابي اللطف" [٢٠] بشرح عقيدة ابي مدين ، وكذلك فعل "عبد الغني اسماعيل النابلسي")[٢١] ، وقد صنف هذان الشارحان عقيدة ابي مدين بانها مبنية على الكتاب والسنة وانها امتداد لعقيدة الاشاعرة في المشرق لاسيما إذا عرفنا ان لابي مدين سنداً آخر لطريقته حيث يقول : ("البسني"[٢٢] ابو الحسن بن حرزهم ، قال : (البسني القاضي ابي بكر بن العربي ، قال البسني ابو حامد الغزالي ، قال البسني امام الحرمين ابو المعالي ، قال : البسني ابو طالب المكي ، قال : البسني الجنيد ، قال: (البسني حبيب العجمي ، قال البسني الحسن البصري ، قال البسني علي بن ابي طالب (ﷺ) ، قال : البسني رسول الله (ﷺ)[٢٣] ومن الملاحظ ان هذا السند قد سقط من حلقته "شخصيتان"[٢٤]، بيد ان هذا لا يطعن في صحة الاسناد ، وفي هذا السند امامان عظيمان من أئمة الاشاعرة في المشرق هما ابو المعالي الجويني ،

وابو حامد الغزالي . ويظهر ان هذا السند هو ماحذا بابن ابي اللطف والنابلسي لتصنيف ابي مدين ضمن عقيدة الاشاعرة . والذي يؤكدان طريقة ابي مدين كانت مبنية على الكتاب والسنة وانه لم يقل بوحدة الوجود كما يصوره ابن عربي .
ان ابن تيمية قد امتدح بعض الصوفية الذين لم يقولوا بوحدة الوجود او بالاتحاد والحلول ويسميهم (ائمة الهدى ، الذين جعل الله لهم لسان صدق في الامة ومن بينهم ابو مدين)[٢٥]. وهؤلاء الذين تحدث عنهم ابن تيمية ومنهم ابو مدين الذي يقول : (الحق ما بان عنه احد من حيث العلم والقدرة ، ولا اتصل به احد من حيث الذات والصفات)[٢٦] . ويتفق هؤلاء الصوفية كما يقول ابن تيمية : (على ان الله سبحانه وتعالى ليس هو خلقه ، ولا جزءاً من خلقه ولا صفة لخلقه ، بل هو سبحانه وتعالى مميز بنفسه المقدسة ، بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته)[٢٧].
وفي تضارب الآراء يبدو تمييز الحقيقة امراً صعباً ، وبالرغم من دقة ما ذهب اليه ابن عربي فهو من معاصريه بالاضافة إلى انه من شيوخه الذين اخذ عنهم ، غير ان هنالك رأي يطرحه ابن الخطيب يرى فيه ان التصوف الذي تبناه ابو مدين كان اخلاقياً وبعبارة اخرى انه لم يكن تصوفاً فلسفياً بحتاً لحد تبني نظرية في طبيعة الوجود سميت بوحدة الوجود . يقول ابن

---

[١٨] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣١ .

[١٩] ابن قنفذ القسنطني ، انس الفقير وعز الحقير ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، القاهرة تحت رقم ٣٠٣ مجاميع ورقة (٤٧ب) .

[٢٠] ابن ابي اللطيف (شمس الدين محمد) وكتابه هو العقد المتقن والعقد المثمن بشرح عقيدة العارف ابي مدين ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، القاهرة ، تحت رقم ١٣٠ ، مجاميع .

[٢١] عبد الغني بن اسماعيل النابلسي وكتابه هو القول الا بين في شرح عقيدة ابي مدين وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ، القاهرة ، تحت رقم ٣٦٢ تصوف واخلاق .

[٢٢] البسني ، أي خرقة التصوف وهي بمثابة سند أو اجازة .

[٢٣] ابن قنفذ القسنطيني ، انس الفقير ، ورقة (٧٥أ) .

[٢٤] الشخصيتان هما ، داود الطائي وسري السقطي .

[٢٥] ابن تيمية،مجموعة الرسائل والمسائل،طبعة لجنة التراث العربي،القاهرة(د. ت)،ج٢،ص١٧٩ .

[٢٦] الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٣٤ .

[٢٧] ابن تيمية ، مجموعة الرسائل والمسائل ، ج٢ ، ص١٧٩ .

الخطيب : (اشتهر خواص من اهل السنة ، المراعين نفوسهم وانفاسهم مع الله ، الحافظين قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم " التصوف الخلقي " ... ومنهم المشايخ آباء الرجال ، ومقتدحي زناد العباد ، ومقتعدي كراسي الهداية ، كابي محمد " صالح الدكالي " ، "وابي العباس الرفاعي" ، "وابي الحسن الشاذلي" ، "وعبد القادر الجيلاني" ، "وابي العباس المرسي" ، "وابي مدين")[٢٨] . والفناء في التوحيد هو ديدن الصوفية جميعاً على مدى تاريخ التصوف ولكن منهم من غلب عليه الفناء في كل اوقاته وبدت به مشاهدة حقيقة الأشياء فلم ير موجوداً على الحقيقة إلا الله وان نسبة المخلوقات إلى الله كنسبة الظل الى الحقيقة ويعبّر عن ذلك ابو مدين بقوله : (المخلوقات بأسرها ظل وهو سبحانه وتعالى حقيقة الكل)[٢٩] . ومنهم من يتمكن من احواله فيفرق بين الخالق والمخلوق فيكون آخر كلامه كما قال ابو مدين (الله الحق ..)[٣٠] .

وقد تابع ابو مدين اسلافه من متصوفة المشرق في القول بالفناء عن الخلق وشهود الحق ، وهو الأساس الذي قال به الجنيد والحلاج فان اول علامة للصوفي في شهوده الحق (هي خروج الصوفي عن الكائنات ، ورد جميع الموجودات إلى الله تعالى لما يستولي عليه من حقائق التوحيد بحيث لا يشهد حركة ظاهرة او باطنة ، ولا اثر ولا يسمع خبر ، ولا يلاحظ حساً ولا زماناً ولا مكاناً ، فالحق يفنيه عن الأكوان وعن نفسه ، فيضمحل جمعه ومتفرقاته ، ويتلاشى أحواله وأوقاته ، فلا أثر ولا خبر ولا حركة ولا وارد ، ليس في الوجود إلا المالك الواحد)[٣١] . ويقول كذلك ابو مدين (إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره)[٣٢] . كل هذه النصوص يجعلنا نرجح ما يراه ابن عربي في مذهب شيخه ابي مدين . الذي يرى ان الله يتصف بالاحدية ، وهو لا يقبل التركيب والتحليل فهو يخالف الاشاعرة في اثبات الجوهر الفرد حيث يقول : (ان ذاته ليست بجوهر فالجوهر بالتحيز معروف، ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء موصوف ، ولا بجسم فالجسم بالجهات محفوف ، وهو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس ، على العرش استوى)[٣٣] . ويستطرد شارح عقيدة ابي مدين في كلامه عن الصفات عند ابي مدين فيقول : (والله منزه عن صفات الحادثات ، فهو جل عن التشبيه وعن التقدير وعن التكييف والتغيير والتأليف والتصوير والشبيه والنظير { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} ..)[٣٤] . وهذا الذي قال به ابو مدين هو عين ما اتفق عليه الصوفية في المشرق والمغرب في انهم يردون جميع الصفات الالهية إلى صفة واحدة هي (التنزه عن صفات المحدثات)[٣٥]. وقد اشار الجنيد إلى ذلك وكذلك الحلاج وكلاهما يشيران إلى نفس المعنى ، والفناء في التوحيد يراه ابو مدين من اعمال الشريعة وليس خارجاً عنها فهو كغيره من الصوفية يستدلون على هذا الفناء بقوله تعالى { قل الله ثم ذرهم في فوضهم يلعبون }[٣٦] . ولحظة الفناء عن شهود السوى هي لحظة شهود الاحدية تلك اللحظة التي يرى ستيس انها (ستظل كما هي في ذاتها ، النهية الهية سامية

---

[٢٨] لسان الدين ابن الخطيب ، روضة التعريف بالحب الشريف ، الدار البيضاء ، ١٩٧٠ ، ج٢ ، ص٦٢١

[٢٩] ابن عربي ، محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ، ج٢ ، ص١١٢ .

[٣٠] المقري ، نفح الطيب ، ج٤ ، ص٢٧٢ .

[٣١] ابن عربي ، محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ، ج٢ ، ص٢١٥ .

[٣٢] ابن علان ، شرح حكم ابي مدين ، ص٩ .

[٣٣] النابلسي ، القول الا بين في شرح عقيدة ابي مدين ، ورقة (١٣٦ب) .

[٣٤] المصدر نفسه ، ورقة (١٣٦ب).

[٣٥] ابو العلا عفيفي ، التصوف الثورة الروحية في الاسلام ، ص١٥٨ .

[٣٦] سورة الانعام : الآية ٩١ .

، متعالية على الزمان وعلى العلل قاطبة وعلى الاشياء الدنيوية كلها)[٣٧] . غير ان هذه الأحوال احوال سلب عند الصوفية و (ان أعلى احوال الصوفية ، حالة ايجابية لا سالبة ، لأن الصوفي يشعر في، ولكنه بقاء ها ببقائه لا بفنائه ،، ولكنه بقاء بالصفات الالهية والاعمال الالهية لا بصفاته هو واعماله)[٣٨]. ويرى نيكولسون ايضاً : ان (الصوفي، في حال "الصحو" ، يعود إلى الناس ، وقد اتصف بالصفات الالهية – ومن بينها العلم – فيظهر لهم الحقيقة ويقيم الشرع على وجهه الصحيح)[٣٩].

ومن الجدير بالذكر ان ابا مدين كان حلقة من التأثير والتأثر ففي الوقت الذي تلحظ تأثر ابي مدين في اسلافه من متصوفة المشرق ، فأنه هو ايضاً كان مؤثراً في من خلفه من متصوفة المغرب بل وحتى من عاصره وجاء بعد من متصوفة المشرق ايضاً فان الروايات تذكر انه (التقي بالصوفي عبد القادر الجيلاني وتتلمذ عليه هناك ، كما انه التقى ايضاً بالصوفي احمد الرفاعي مؤسس الطريقة الرفاعية في العراق في حدود عام ٥٦٢ ، وبعد وفاة استاذه الجلاني ، كون بعد ذلك طريقته على غرار هاتين الطريقتين)[٤٠] .

ويرى الاستاذ ترمنجهام في كتابه الطرق الصوفية في الاسلام (ان طريقة ابي مدين استمرت من خلال تلميذه عبد السلام بن مشيش المتوفي عام ٦٢٥هـ – ١٢٢٨م ، وهذا الاخير ، من اعظم تلاميذه البارزين ، ابو الحسن الشاذلي ، الذي كانت طريقته تدعى بالشاذلية ، والتي اصبح لها الاهمية البالغة في شمال افريقيا ، من المغرب إلى مصر ، كما انها حصلت على اتباع لها في سوريا وبلاد العرب)[٤١]. ولسنا بصدد ذكر من اثر فيهم ابو مدين فهم كثير ، وترك تلامذه افذاذاً نشروا طريقته في ربوع العالم الاسلامي ، وهو شيخ الطريقة الذي لم تشتهر طريقته إلا بعد وفاته وعلى ايدي تلامذته واتباعه ، حتى انه لقب بـ (شيخ المغرب)[٤٢] .

الوجود عند أبي مدين المغربي.

يروي لنا ابن عربي الكثير من الآراء والأقوال لأبي مدين في كتابه الأول تحت عنوان "محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار" وابن عربي (يحرص على ترديد رؤيا ينسبها إلى بعض الصالحين ، ، ولا يذكر اسمه ، مما يجعلنا نحسب أنها من كلام ابن عربي نفسه . في هذه الرؤيا رأى هذا الصالح أبا مدين وأبا حامد الغزالي وأبا طالب المكي صاحب "قوت القلوب" وأبا يزيد البسطامي ، وخلقاً كثيراً من الصوفية ، وهؤلاء الأقطاب يسألون أبي مدين ويستزيدونه في أمهات مسائل التصوف)[٤٣]

ومن خلال هذه الاسئلة وجواب أبا مدين عليها نتعرف على أمرين الأول هو رأي أبي مدين في مسائل الفلسفة الصوفية . والثاني أثر المشارقة في المعرفة الصوفية لدى أبي مدين المغربي وتبدأ المحاورة (قال أبو يزيد البسطامي لأبي مدين زدنا في التوحيد ، فقال : "التوحيد هو الحق ومنور القلوب ، ومحرك الظواهر ، وعلام الغيوب ، نظر العارفون فتاهوا إذ لم يعمر قلوبهم إلا هو ، فهم به والهون . قلوبهم تسرح في رضاه في الحضرة العلية ، وأسرارهم مما

---

[٣٧] ستيس "والتر" ، الزمان والازل ، ترجمة د. زكريا ابراهيم ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٧م ، ص١٧٨ .

[٣٨] نيكولسون ، في التصوف الاسلامي ، ص١٢٣ .

[٣٩] المصدر نفسه ، ص١١٩ .

[40] J. Spencer Trimingham : The sufi orders in Islam; London, oxford, 1973, P. 48

[٤١] The susf orders in Islam ; PP. 47 – 48

[٤٢] الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١

[٤٣] د. عبد الرحمن بدوي ، بحث أبي مدين وأبن عربي ، ضمن الكتاب التذكاري ، ص١٢٣ .

سواه فارغة خلية . جالت أسرارهم في الملكوت فلاحظوا عظمته ، وتجلى لقلوبهم فأنطقهم بحكمته . فهو للعارف ضياء ونور ، وقد أشعله به عن الجنة والقصور ، آنسه به جليسه ، وأفناه عنه فتلاشى كثيفه ، فأمتزج المعنى بالمعنى فكان هو")[٤٤]

ويتابع بو مدين كلامه العالي فيقول : (ذهبت الرسوم ، وفنت العلوم ، ولم يبق إذ ذاك إلا الحي القيوم وهو معنى المعاني ، الحي الباقي ، وكشف سر العارف ماذا يلاقي من البر والإحسان ولذة النظر وغيبته عن الأغيار وعن جملة البشر ، تنزهه عن تنزيهه فنزهه به ، وفنى عن الأكوان بمشاهدة ربه ، فعدا عن الأسماء، وسما عن الصفات ، وأضمحلت كليته في مشاهدة الذات . هذه علوم وهذه اسرار ، يكاشف بها من هو لها مختار ، فينبتها في الوجود فيظهر ما عنده ، ويعالج علتها بالعلم الشافي فيبرأ بها من الإسقام ومن جملة العلل ويصلحها ويعلمها من الأسرار ما لم تكن تعلم . فعلم العارف موصول المعرفة ، فيظهر له الحق فيألف المألوفة[٤٥] .

وبمثل الحوار السابق نجد أن أبا حامد الغزالي يسأل الشيخ أبا مدين عن سر معرفته ومحبته ، فيجيب أبو مدين : (المحبة مركبي ، والمعرفة مذهبي ، والتوحيد وصولي . للمحبة سر لا يكشف ، وإدراكات لا يعبر عنها ، ولا يوصف سرها ومنبعها ، وفي واصلها الجود العلى .

فالمعرفة فهي للخواص سنة مسنونة، دل ذلك قوله تعالى {يحبهم ويحبونه} . فالمعرفة يا أخي فخري ، وهي قاعدة سري وأمري .ثمرتها التوحيد ، ومنها وفيها يكون المزيد . فالتوحيد أصل وما سواه فرع ، وهو غاية المقامات ونهاية الأحوال وماذا بعد الحق إلا الضلال)[٤٦] ثم أن الغزالي وكأنه يرى في هذا الجواب شبهة اتحاد فيسأله عن التنزيه ويجيب أبو مدين (نزهت الحق بما نزه به نفسه ، وحمدته حمد من به قدسه ، ومجدته بتمجيد من كان معناه وحسه ، فهو المحرك للظواهر ، ومعلن العلانية ومسر السرائر . فسره لسري لاح ، وخفة تغمرني في المساء والصباح . أن نظرته وجدته معي ، وأن تحققته كان بصري ومسمعي . فهو الممد لوجدي ، ومقلب قلبي ، وناصر وجودي . فحياني بحياته ظاهرة ، وصفاتي بصفاته مطهرة ، وخلقي بأخلاقه متخلقة . أمدني بتوحيده ، وملأ ظاهري وباطني بجلاله وتمجيده)[٤٧] ونرى أثر الجنيد وأقواله في التوحيد في كلام أبي مدين وآراء الحلاج في الاتحاد ظاهرة أيضاً وتقسيم الغزالي العالم إلى عالم الجبروت وعالم الملكوت يتضح في كلام أبي مدين حينما يعاود الغزالي سؤاله له عن حقيقة سره فيقول أبو مدين : (سري مسرور بأسرار تستمد من البحار الإلهية الأبدية الأزلية التي لا ينبغي كشفها ولا يجوز بثها لغير أهلها ، إذ العبارة والإشارة تعجز عن ادراكها ، وأبت الغيرة إلا سترها . هي البحار المحيطة بالوجود ، لا يلجها إلا من وطنه مفقود ، وفي عالم الحقيقة بسره موجود . يتقلب الحياة الأبدية ، وينطبق بالعلوم الأزلية . فهو بجسمه ظاهر ، وبسر حقيقته ظافر . يطير في عالم الملكوت ، ويسرح في عالم الجبروت . تخلق بالأسماء وبالصفات ، وفني عنها بمشاهدة الذات . هناك قراري ووطني ، وقرة عيني وسكني به دام فرحي ، وهو علانيتي وسري ، والممد لوجودي ، ومالكي ومعبودي ، أظهر في وجودي قدرته ، ورتب في بدائع صنعه حكمته) [٤٨] ويواصل ابو مدين عرض توحيده للإله فيقول : (فهو الباطن والظاهر، الملك القاهر . فمن رقت همته عن ملاحظة نفسه ، لم يلتفت إلى غده

---

[٤٤] ابن عربي ، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ، مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٤هـ – ١٩٠٦م ، ج١ ، ص١١٠ ، وكذلك مطبعة الشعراوي ، طبعة ١٣٨٢ .

[٤٥] د. يحيى هويدي ، تاريخ فلسفة الإسلام ، ص٣٥١ .

[٤٦] ابن عربي ، محاضرة الأبرار ، ج٥ ، ص١٨٥-١٨٦ .

[٤٧] المصدر نفسه ، ج٥ ، ص١٨٩ .

[٤٨] ابن عربي ، محاضرة الأبرار، ص٣٥١ .

وأمسه ، وإنما هو أبن وقته بالحق سبحانه : تجري عليه أفعاله وهو راض به مسرور ، إذ لم يكن شيئاً مذكورا . فمن نزه أقواله وأفعاله فقد صفى همته وأحواله . فمن كان نطقه به فيه يصول ، ومن كان هو دليله فقد نال الوصول . ومن حقق نظره به يسمع وبه يقول ، ويسأل به منه ، إذ الوجود كله فاني ، والباقي فيه المعاني . به كل شيء يعرف ، ولولاه لم يفهم ولم يوصف . فهو المظهر – سبحانه ! – للأكوان ، وسر السرائر ومظهر الإعلان)[٤٩] وهكذا يكرر أبو مدين ما قاله أسلافه في المشرق من المعاني الصوفية مضيفاً إليها فكرة الاغتراب التي طالما رددها الصوفية ومن أقواله في التوحيد : (التوحيد أصل في الوجود وعليه أخذت المواثيق والعهود وهو دليل على كل مفقود . فمن بقي على أصله فقد وفى . ومن عدل عن رسمه فقد أخطأ الطريق وجفا . ومن أتاه بقلب سليم تلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم به يسرون وبه يتلذذون وبه يهتدون وأكثر الخلق للجزاء ولعليين قوم آخرون ..... فسر هذا التوحيد مستور بالغيرة وإذا صحت الوحدة بطلت الكثرة . فمن انتهت همته إلى هذا المقام كان شفعه بالخالق العلام لا يلتفت إلى غيره)[٥٠] وهذه الوحدة الشهودية التي سمعناها في أقوال الجنيد وأتباعه كالحلاج وغيره . وعندما سئل عن الروح أو السر أجاب أبو مدين فقال : (السر هو الحقيقة لا تجلى عليه خليقة ولا دقيقة . هو مادة الله في الوجود يأتي من عين اللطف والجود . محرك الحركات ومجمد الجمادات ومنتشر في النباتات . عنصره النور الإلهي ومنبعها النور الخفي ، به أقام أمداد الوجود إلى أمد ، وبه رفع السماوات بغير عمد : ثم قال : إذا عرفك به أمد سرك من سره ، فكنت قريباً بقربه ، ومنعماً في قدسه ، وكشف لك عن وجهه فنظرت جماله له)[٥١] وينقل لنا الشعراني أيضاً بعض أقوال الشيخ أبي مدين فمن أقواله : (الغيرة أن لا تعرف ولا تعرف أغنى الأغنياء من أبدى له الحق حقيقة من حقه ، وأفقر الفقراء من ستر الحق حقه عنه – إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره – شاهد مشاهدته لك ، ولا تشهد مشاهدتك له – القريب مسرور بقربه والمحب معذب بحبه) [٥٢] وفي ذلك دلائل التوحيد يقول(الفقر إمارة على التوحيد ودلالة على التغريد ، وحقيقة الفقر أن لا تشاهد سواه – من كان الأخذ أحب إليه من الاعطاء فما يشم للفقر رائحة – الإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق – من عرف أحداً لم يعرف الأحد – الحق لا يراه أحد إلا مات فمن لم يمت لم ير الحق – إياكم والمحاكمات قبل إحكام الطريق وتمكن الأحوال فإنها تقطع بكم درجات الكمال – الحضور مع الحق جنة والغيبة عنه نار والقرب منه لذة والبعد عنه حسرة والأنس به حياة والأستيحاش منه موت – طلب الإرادة قبل تصحيح التوبة غفلة)[٥٣] وينقل لنا "أبو زكريا يحيى بن خلدون"[٥٤] بعض الأبيات من شعر أبي مدين فيقول ومن شعره :

الله قل وذر الوجود ما حوى أن كنت مرتاداً بصدق مراد

وقوله أيضاً :

---

[٤٩] المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢١٧ .

[٥٠] المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣٠ .

[٥١] ابن عربي ، محاضرة الابرار ، ج١ ، ص٢١٧ .

[٥٢] الشعراني ، الطبقات الكبرى ، المسمات بلواقح الانوار في طبقات الاخبار ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ط١ ، ١٣٧٣هـ ، ١٩٥٤م ، ج١ ، ص١٣٢.

[٥٣] المصدر نفسه ، ص١٣٢ .

[٥٤] الأخ الأصغر للمؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون .

بغيث أيوب والكافي لذي النون ينيلني فرحاً بالكاف والنون
كم كربة من كروب الدهر فرجها دوني ولم ينكشف وجهي لمن دوني[٥٥]

ومثل هذه المعاني الشعرية نجدها عند أبن الفارض حيث يقول :
وكيف وباسم الحق ظل تحققي تكون أراجيف الضلال مخيفتي[٥٦]

وبهذه المعاني وبما نقله أبن عربي من الروايات السالفة الذكر فأن ابن عربي أراد أن يقول بأن شيخه أبا مدين من القائلين بالوحدة الشهودية والتي لا يشهد فيها العارف غير الله تعالى مما أدى بالوشاية به لما اشتهر أمره عند يعقوب المنصور فطلبه ، ولكن الشيخ مات في الطريق قبل أن يراه عندما مَرِض مَرَضَ الموت وتوفي في عام ٥٤٩هـ رحمه الله .

وفي قدم الباري وحدوث العالم يقول بو مدين : (مصنوعاته – تعالى – محكمة ومخلوقاته مسلمة ، لانه صانعها) [٥٧] وبالاضافة إلى مصطلح الصنع ، يستخدم ابو مدين مصطلح الاختراع حيث يقول : (اختراعه – تعالى – للوجود من العدم) [٥٨] ومصطلح الخلق في قوله (مخلوقاته مسلمة) [٥٩] وكل هذه المصطلحات المتقاربة المعاني انما تدل على ان ابا مدين يذهب إلى القول بان العالم حادث وليس قديم وان الله تعالى خلقه من العدم حيث يقول : (الوجود كله فان ، والباقي فيه المعاني) [٦٠] والله تعالى الخالق لهذا الكون من العدم قادر على إعادته إلى العدم مستنداً إلى قوله تعالى {يبد الخلق ثم يعيده}[٦١] وان مآل هذا العالم كله إلى الفناء ويستدل بنفس الآية التي استدل بها الجنيد وهي قوله تعالى {كل من عليها فان}[٦٢] ويتابع ابو مدين الجنيد في ان الله تعالى أخذ على الخلائق العهد في آية الميثاق ويستدل بذات الآية التي استدل بها الجنيد من قبل في قوله تعالى :{وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى ، شهدنا ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين}[٦٣] ويذهب ابو مدين إلى القول بان الله خلق الخلق على دفعات وليس دفعة واحدة فالله تعالى خلق الخلق اطواراً حيث يقول ابو مدين في مناجاته لله تعالى : (يا من خلقت الخلق اطواراً)[٦٤] ومصدر فكرته هذه القرآن الكريم حيث يقول تعالى {وقد خلقكم اطوارا}[٦٥]. وبهذا الصدد يقول الدكتور ابو الوفا التفتازاني (ان فكرة التطور ذاتها ليست مخالفة للقرآن ، وانما الذي يخالفه هو القول بان هذا التطور المشاهد في الكائنات علويها وسفليها يكون

---

[٥٥] يحيى بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملك من بني عبد الواد ، نشرة الفرد بل ، مطبعة بيير فونطانا بالجزائر ، ١٩٠٣ ، ج١ ، ص٦٣-٦٤ .

[٥٦] د. عاطف جودة نصر ، شعر عمر بن الفارض ، ص٢٩٢ .

[٥٧] بن عربي ، محاضرة الأبرار ومسامرة الاخيار ، ج٢ ، ص١٢٨ .

[٥٨] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٢٨ .

[٥٩] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٢٨ .

[٦٠] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٥٨ .

[٦١] سورة يونس ، الآية ٤ .

[٦٢] سورة الرحمن ، الآية ٢٦ .

[٦٣] سورة الاعراف ، الآية ٧٢ .

[٦٤] ابن عربي ، محاضرة الابرار .

[٦٥] سورة نوح : الاية ٤١ .

بالمصادفة ، وليس من صانع مدبر حكيم) [٦٦] ، ويرى ابو مدين ايضاً ان الوجود قائم بالله تعالى وامره الذي هو خلقه للموجودات مستعد ومتواصل، وحكمه تعالى يعم جميع الموجودات حيث يقول : (الوجودية – تعالى – قائم ، وامره في مملكته دائم ، وحكمه في وجوده عام) [٦٧]. فالكون كله حادث مخلوق وكل ما فيه له بداية يخالف بها السرمدية وله نهاية يخالف بها الابدية والله تعالى هو القديم بذاته وهو الممسك للاكوان ، والحافظ عليه وجوده ، وقد خلقه على سبيل التطور ولم يخلقه دفعة واحدة ، ويواصل ابو مدين عرض ترتيب الوجود بحسب وجهة نظره حيث يرى (انه اذا نظرنا إلى الموجودات ، وجدناها على قسمين : قسم يدرك بالحواس ، وهو الكائنات المحسوسة او الكثيفة ، وقسم يدرك بفعله وهو الكائنات التي تسمى معاني ، ان هذه الكائنات اللطيفة ترتفع عن الكائنات الكثيفة او المحسوسة في ترتيب الموجودات ٠٠٠ وان الاكوان الحسية هي ما يدركه البصر من الاجسام الكثيفة ، اما الكائنات اللطيفة فتدرك بالبصيرة ، فالكون كله دائر بين اللطيف والكثيف ، فالمحسوسات ظاهرة ، أما اللطائف فباطنه، وهذه الكائنات المحسوسة تتحرك بواسطة السر الالهي ، كما ان الموجودات على اختلاف انواعها تتحرك بالحق تعالى يقول ابو مدين بهذا المعنى (منه – تعالى – لطافة كل لطيف ، ومن سره حركة كل كثيف ، به حركة الوجود على اختلاف انواعه) [٦٨] . وهنا نلاحظ اثر السهروردي من خلال تقارب الفكرة فالسهروردي ايضاً يقول في ترتيبه للوجود بأن هنالك الامكان الاشراف الذي يسبق المكان الاخس بالظهور ويذهب ابو مدين إلى ان الموجودات ليس لها وجود على الحقيقة وانما الحقيقة في وجود جميع الموجودات هو وجود الحق تبارك وتعالى وهو عين ما قال به متصوفة المشرق كالجنيد والحلاج وابو اليزيد وغيرهم يقول ابو مدين في ذلك : (المخلوقات باسرها ضل ، هو سبحانه وتعالى حقيقة الكل) [٦٩]. ويقول ابو مدين ايضاً ان (جملة المحسوسات عدم وهباء)[٧٠] . ويقول ايضاً : (الحق تعالى مستبد[٧١] ، والوجود مستمد[٧٢] ، والمادة[٧٣] من عين الوجود فلو انقصعت المادة تهدم الوجود) [٧٤].
و لقد تكلم ابو مدين كغيره من متصوفي المغرب في الصفات الالهية بصورة عامة وفي العلم الالهي بصورة خاصة ، وبالرغم من ان ابا مدين كان متأثراً بمذهب الاشاعرة الكلامي وخصوصاً آراء ابي حامد الغزالي كما يقول التادلي (ولقد اثرت تعاليم الغزالي هذه على تصوف ابي مدين ، فقد تأثر بمذهبه في " الفناء في التوحيد)[٧٥] ، كما يشير إلى مصنفاته في مواقع

---

[٦٦] د. ابو الوفا التفتازاني ، الانسان والكون في الاسلام ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة، ١٩٧٥م ، ص٥٢ .

[٦٧] ابن عربي ، محاضرة الأبرار ، ج٢ ، ص١٢٨ .

[٦٨] ابن عربي ، محاضرة الأبرار ، ج١ ، ص٤٩٦ .

[٦٩] المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١١٢ .

[٧٠] المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٣٠ .

[٧١] مستبد : بمعنى : متفرد – استبد بكذا : تفرد به ، ينظر مختار الصحاح مادة بدد .

[٧٢] االاستمداد : طلب المدد ، المصدر السابق مادة مدد .

[٧٣] المادة : الزيادة المتصلة ، المصدر السابق ، مادة مدد .

[٧٤] ابو الوفا التفاتازاني ، شرح حكم ابي مدين ، ص٤

[٧٥] من الجدير بالذكر ان ابا حامد الغزالي قال بمذهب الفناء في التوحيد لكنه لم يقر ما ذهب اليه بعض الصوفية من اتحاد وحلول أي انه لم يقل عبارات توحي بذلك .

كثيرة من كتبه ، فيقول مثلاً ، نظرت في كتب التصوف ، فما رأيت مثل الاحياء للغزالي)[٧٦] . وبالرغم من ذلك فأن ابا مدين كان على علم بمذاهب اكثر متصوفة المشرق كما يقول صاحب البسان (وكان ابو مدين عارفاً بمذاهب صوفية المشرق السنيين من أمثال الجنيد ، وسري السقطي ، وحبيب العجمي ، والحسن البصري ، يدلنا على ذلك ، ذكره لهم في اخذ طريقته عنهم ، فيقول : " طريقتنا هذه اخذناها عن ابي يعزي ، بسنده عن الجنيد عن سري السقطي ، عن حبيب العجمي عن الحسن البصري ، عن علي (ﷺ) ، عن النبي (ﷺ)[٧٧] وإلى رأي ابي مدين في الصفات فأنه يذهب (في وصفه تعالى بانه الخالق ، والصانع ، والمخترع ٠٠ كما ان الخلق يرجع إلى استعمال القدرة ، وقد خلق الله تعالى للعبد علماً وقدرة بنوع من المجاز ، فاذا لاحظ الصوفي سبق التقدير الالهي وما تقرر فيه ، حيث لم يكن هو ولا شيء معه، فأنه يكون مشاهداً سبق الله تعالى بعلمه وتقديره في عالم الذر ، حيث يشهد خلق الله للكائنات وما يرى منها وما لا يرى ، كثيفها ، ولطيفها)[٧٨] ويرى ابو مدين ان اخص الصفات الالهية هي التفرد بالايجاد والوحدانية حيث يقول : (المنفرد بالايجاد هو الواحد ، ولكن ابصارهم - المشركين – مسدوده ، وعقولهم عن شهود الحقيقة معدوده ، واتهامهم عن ادراك المعاني مردودة)[٧٩].
ويرى ابو مدين ايضاً ان الله تعالى : (هو قلب الوجود ، وبه قام ، وهو المحرك والمسكن لسائر الاجرام)[٨٠] ويذكر ابو مدين بعض الصفات بضرب من التأويل حيث يقول (ما من شيء قل او جل ألا وهو معه ، ولا ظاهر ولا باطن إلا وقد اتقنه وصنعه)[٨١] فهو يذهب إلى ان (الله تعالى موجود مع كل الموجودات بفضله ورحمته وعنايته)[٨٢] ، وهو بذلك يتابع الاشاعرة في تأويلهم لبعض الصفات الالهية فأن (هذه المعية لا تعني حلولاً وامتزاجاً واتحاداً بالمفهوم الحسي ، أو انتقال ، أو تغير ، إلى غير ذلك وانما تعني ان الله تعالى يظهر بصفاته فحسب ، فهو معها بعنايته ، ورحمته وفضله مع تمايز الله تعالى عن الموجودات الحادثة تميزاً تاماً ، وبهذا ينزه ابو مدين الله تعالى عنه كل ما لا يليق به من صفات الكائنات المخلوقة المتناهية)[٨٣] ، عن الله تعالى على حد تعبير ابي مدين (هو خالق العرش والثرى وما بينهما ، والكل قائم به ، ومملوك بقدرته ولطفه ، وما من ذرة فما فوقها ألا وهو معها ، معية ليست بحلول وانتقال ، ولا تغير ولا زوال)[٨٤] . أما عن بقية الصفات لاسيما العلم الالهي الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالصفات الأخرى التي يعتبرها ابو مدين من لوازم ذاته والتي هي عين ذاته ، والعلم منها ، (وصفاته التي هي من لوازم ذاته ، فليس الوجود الحقيقي الا له اعني الوجود الذي هو مستغنٍ فيه عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير اليه بالذات ، لا قيام له بنفسه)[٨٥].

---

[٧٦] التادلي (ابو يعقوب يوسف بن يحيى) التشوف إلى رجال التصوف ، نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ح/٥٢ ، القاهرة (ب. ت) ، ص٢٣١ .

[٧٧] ابن مريم التلمساني ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، الجزائر ، ١٣٢٦ ، ج٢، ص١١٠ .

[٧٨] محيي الدين عبد الحميد طاهر ، ابو مدين المغربي حياته وتصوفه ، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم الفلسفة ، بكلية الآداب – جامعة القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص٢٧١ .

[٧٩] ابن عربي ، محاضرة الابرار ، ومسامرة الاخيار ، ج٢ ، ص٢٢٥ .

[٨٠] المصدر نفسه ، ج ١، ص١٢٣ .

[٨١] المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٢٣ .

[٨٢] محيي الدين عبد الحميد ، ابو مدين ، ص٢٧٤ .

[٨٣] المصدر نفسه ، ص٢٧٧ .

[٨٤] ابن عربي ، محاضرة الابرار ومسامرة الاخبار ، ج١ ، ص٤٣٢ .

[٨٥] محيي الدين عبد الحميد ، ابو مدين ، ص٢٧٥ .

لذلك حين ما سئل ابو مدين عن التنزيه قال : (نزهت الحق بما نزه به نفسه ..فهو المحرك للظواهر ، ومعلن العلانية ومسر السرائر ... فحياتي بحياته ظاهرة ، وصفاتي بصفاته مطهرة)[٨٦] .

وهذا الكلام الذي تحدث فيه ابو مدين عن صلته بالله تعالى انما هو حال العارف بالله اما (مخلوقاته تعالى – لعزِّ كبريائه مذلولة ، والاشياء كلها من العرش إلى الثرى معلولة ، اذ هو سبحانه مذلها بالقهر ، وقاهرها بالأمر ، ومصرفها بقدرته)[٨٧]. وهذا القهر هو الذي تحدث به السهروردي الاشراقي ولكنه يرى ان القاهر لهذه المخلوقات هو النور فهي مقهورة بالنور مضطرة إلى الظهور، وهذا لاضطرار هو عينه الذي تحدث به ابو مدين حيث يقول : (مخلوقاته – تعالى – بأسرها اليه مضطرة)[٨٨].

الخاتمة:

---

[٨٦] **عبد ارحمن بدوي " ابو مدين وابن عربي " الكتاب التذكاري لمحيي الدين بن عربي ، ١٩٦٩ ، ص١٢٤ .**

[٨٧] **ابن عربي ، محاضرة الابرار ومسامرة الاخبار ، ج٢ ، ص١١٢ .**

[٨٨] **المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٦٠ .**

ان من اهم ما توصلت له من خلال بحثي هذا عدة امور هي:
١-ان تلمسان كانت على مر العصور مهدا للعلماء والمفكرين الذين كان لهم اثر واضح في تاريخ هذه الامة وفي نهضتها وحضارتها.
٢-ان الشيخ ابومدين المغربي هو علم بارز من اعلام تلمسان ،وله اراء مهمة في الفلسفة الصوفية.
٣-ان فلسفة الوجود عند الشيخ ابي مدين تعتمد على رؤيته الصوفية والمبنية على وحدة الشهود.
٤-ان اراء ابا مدين في صفات الله تنطلق من عقيدته كاشعري .
٥- يميز ابو مدين بين العلم الالهي والعلم البشري هو عين ما نقد الغزالي به الفلاسفة وهو قياس الغائب على الشاهد ، وهذا يدلل على اطلاع ابي مدين على اراء اسلافه من المشارقة.
٦- تميزابو مدين بين اقرانه بانه صاحب حال ومقال في نفس الوقت فقد جمع الله به علوم الشريعة والطريقة،فكان الناس يهرعون اليه في فتواهم ،فكان مفتيا على مذهب الامام مالك رحمه الله،وكانوا يقصدونه في كربهم للدعاء لهم.
٧-يعتبر ابا مدين من اهم الشخصيات الصوفية في المغرب لذلك كان محط الانظار للكثيرين من الصوفية لاسيما الشيخ الاكبر ابن عربي.
٨-كذلك شهد له غير واحد بفضله حتى ممن عادى المنهج الصوفي كأبن تيمية وغيره فتصوف الشيخ ابومدين تصوف سني أي انه مبني على الكتاب والسنة النبوية المطهرة

ومن اهم التوصيات التي اود ان اوجهها للباحثين هي:
١-التركيز على هذه الشخصيات المهمة في تاريخنا واعطائها حقها من البحث والدراسة.
واخيراادعو من الله تعالى ان يرزقنا قلوب هؤلاء العارفين لنعبده بيقين واصلي على سيدنا محمد سيد المتقين وعلى آله الطيبين الطاهرين واصحابه المنتجبين واسم تسليما كثيرا.

المستخلص

ان من المهم ان نتفحص تراثنا بطريقة علمية تجعلنا نستلهم منه كل ما يدعو الى نهضتنا ونتطورنا، لاسيما ان في هذا التراث من الكنوزالمخفية التي لم ترالنور لحد الان، وشخصيات لم تدرس كما ينبغي لحد الان، ومن جملة هذه الشخصيات هو الشيخ الكبير ابو مدين المغربي ذلك الشيخ الذي اسس طريقته على التوحيد والتقوى فكان قدوة السالكين على حد قول ابن عربي، وان من المهم ايضا ان ننقي تراثنا مما الصق به من شوائب الافكار التي نسبت له، فقد سعى المستشرقون الى الصاق نظريات في التصوف الاسلامي وهو منها براء كنظرية وحدة الوجود وهي نظرية هندية تقرب من نظرية وحدة الشهود في التصوف الاسلامي ولكن الفرق بينهما كبير من حيث المضمون فالاولى نظرية توجب ان يكون الودجود واحدا وداخلا في شيء واحد،اما النظرية الاسلامية فهية ان العارف يصل الى حال من القرب ما يجعله يرى ان الوجود الحقيقي هو وجود واجب الوجود،واما بقية الموجودات فهي اعراض لا تقوم بذاتها بل لا تقوم الا بواجب الوجود.وهذا هو عين التوحيدالذي يسعى لاثباته ائمة التصوف الاسلامي ومن بينهم الشيخ ابو مدين المغربي.ونظرا لاهمية هذه المسألة ولتبرئة التصوف الاسلامي مما ينسب اليه كان هذا السبب في اختيار هذه الشخصية عنوانا لبحثي.الذي اردت ان ابين فيه مفهوم الصوفية للوجود الالهي والصفات الالهية فكان عنوان بحثي:(الالهيات في فلسفة ابو مدين المغربي)،وقد تضمن تمهيد تعريفي بهذا الشيخ ومكانته،ثم المبحث الاول: الذي تضمن الوجود في فلسفة ابو مدين،اما المبحث الثاني:فتضمن الصفات الالهية واخصها صفة العلم الالهي في فلسفة ابي مدين،ثم ختمت البحث بخاتمة تضمنت اهم النتائج التي توصلت لها.

Summary

It is important that we examine our heritage in a scientific way makes us draw inspiration from him every reason to renaissance and our development, especially that in this heritage of the hidden treasures that have not seen the light yet, and the figures have not been studied, as should so far, and the total of these figures is the great Sheikh Abu debtor Moroccan that Sheikh, who founded his own way to monotheism and piety, was a role model who walk in the words of Ibn Arabi, and that it is also important to purify our heritage than paste it from impurities ideas attributed to him, he sought Orientalists to stick theories of Islamic mysticism, which is completely innocent of a theory of pantheism a theory of Indian closer to the theory of the unity of witnesses in Islamic mysticism but the difference between the two large terms of content is better theory had to be the presence of one and the inside of one thing, the Islamic theory is that the knower of up to a state of proximity makes him see that the Real Presence is the existence of a duty exist, and the rest of the assets are the symptoms does not in itself but not the only duty of existence. This is the essence of monotheism, which seeks to prove the imams of Islamic mysticism, including Sheikh Abu debtor Morocco. Given the importance of this matter and exonerate Islamic mysticism, which attributed to him was the reason for choosing this personal title of my research. I wanted a n show the concept of Sufism to the presence of the divine and the divine attributes was the title of my research: (Theology in the philosophy of Abu debtor Moroccan), which included paving the definitions of this Sheikh and his status, then the first topic: which included the presence in the philosophy of Abu Madin, The Section II: guarantees the divine attributes, and most particularly the status of science in the philosophy of the divine father owes, and then concluded research conclusion included the most important findings in this research Which, inter alia.

المصادر والمراجع:

١. بدوي:د.عبد الرحمن ،ابو مدين وبن عربي،بحث ضمن الكتاب التذكاري لمحيي الدين ابن عربي ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،القاهرة ،١٣٨٩ه-١٩٦٩م
٢. البوني:احمد بن علي ،شمس المعارف الكبرى،مطبعة عبدالسلام شقرون،القاهرة،(د،ت).
٣. التادلي (ابو يعقوب يوسف بن يحيى) التشوف إلى رجال التصوف ، نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ح/٥٢ ، القاهرة (ب. ت)
٤. التفتازاني ;د. ابو الوفا ، الانسان والكون في الاسلام ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة، ١٩٧٥م .
٥. ابن تيمية،مجموعة الرسائل والمسائل،طبعة لجنة التراث العربي،القاهرة(د. ت)
٦. بن الخطيب ;لسان الدين ،روضة التعريف بالحب الشريف،الدار البيضاء،١٩٧٠م.
٧. ستيس "والتر" ، الزمان والازل ، ترجمة د. زكريا ابراهيم ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٧م
٨. الشعراني ، الطبقات الكبرى ، المسمات بلواقح الانوار في طبقات الاخبار ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ط١ ، ١٣٧٣هـ ، ١٩٥٤م
٩. عبد الغني بن اسماعيل النابلسي،القول الا بين في شرح عقيدة ابي مدين وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ، القاهرة ، تحت رقم ٣٦٢ تصوف واخلاق .
١٠. ابن عربي ، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ، مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٤هـ – ١٩٠٦م .
١١. ابو العلا عفيفي ، التصوف الثورة الروحية في الاسلام،دار الشعب ،القاهرة (د،ت).
١٢. ابن علان الصديقي، شرح الحكم الغوثية لابي مدين،تحقيق:احمد فريد المزيدي ،الافاق العربية ،ط١،٢٠٠٨.
١٣. الغربيني :ابو العباس احمد،عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،بيروت،١٩٦٩م.
١٤. ابن ابي اللطيف : شمس الدين محمد، العقد المتقن والعقد المثمن بشرح عقيدة العارف ابي مدين ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، القاهرة ، تحت رقم ١٣٠ ، مجاميع .
١٥. ابن قنفذ القسنطني ، انس الفقير وعز الحقير ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، القاهرة تحت رقم ٣٠٣ مجاميع ورقة (٤٧ب) .
١٦. ابن مريم:ابو عبدالله محمد بن محمد،البستان في ذكرالاولياء والعلماء بتلمسان،طباعة الجزائر،١٩٠٨م.
١٧. محيي الدين عبد الحميد طاهر ، ابو مدين المغربي حياته وتصوفه ، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم الفلسفة ، بكلية الآداب – جامعة القاهرة ، ١٩٨٥.
١٨. النابلسي ، القول الا بين في شرح عقيدة ابي مدين ، ورقة (١٣٦ب) .
١٩. نيكلسون،في التصوف الاسلامي وتاريخه .
٢٠. يحيى بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملك من بني عبد الواد ، نشرة: الفرد بل ، مطبعة بيير فونطانا بالجزائر ، ١٩٠٣ .
٢١. J. Spencer Trimingham : The sufi orders in Islam; London, oxford, 1973, P. 48.